غُرابٌ يُواري سوءةَ اللّيل

رشيد سبابو

شعر

غُرابٌ يُواري سوءةَ اللّيل

(قصائد نثرية)

رشيد سبابو

الكتاب : غُرابٌ يُواري سوءةَ اللّيل

المؤلف : رشيد سبابو

النوع الأدبي : قصائد نثرية

الطبعة الأولى (ورقية): 2021

الطبعة الثانية (إلكترونية): 2024

رقم الإيداع : 2021/28692

الترقيم الدولي : 978-977-6942-18-9

الإهداء

إلى الغُرابِ الذي علّمنِي النعِيقَ و التعرّي

الموت!

فن، ككل شيء آخر

و أنّي أتقنه تمامًا.

رياض الصالح الحسين (1954-1982)

غُرابٌ يُواري سوءةَ اللّيل

مُمدّداً على أرضٍ يبَابٍ

أحيكُ من الشّعر لباساً فضفاضاً

يقيني بردَ الحبّ

و حرّ الزّمن،

كغُرابٍ يُوارِي سوءةَ اللّيلِ

أغطّي عُريّ ذاتِي

بالكلماتِ البتُولة

و أوراقِ الزّيتُون الصّغيرة،

حتّى إذا انتهَى مخاضُ اللّيلِ

و خرجتِ الشّمسُ من رحمِ الصّباح

انكمشتُ في لحافِي مذعُوراً

فَراغْ .. مزيداً منَ الفَراغ

ركامٌ على جانبِ الطَّريق

عُلوٌّ شَاهقٌ

صَدري يضيقُ و يضيق،

أجرِي نحو السَّماء

وأصبُّ اللَّعناتِ على الأرض من بَعيد

نحو الغُيوم

نحو الكواكبِ والنُّجوم،

أريدُ حبًّا جديداً

ليس حبّ الأرض ولا حُبّ الموتَى

لا حبّ البَشرِ ولا حبّ اللَّيل،

أريدُ حبّ الملائكةِ

حبًّا أبيضاً لم تمسسهُ نَار ..

إنّها النّارُ في داخلي

يزدادُ لهيبُها كلَّما اقتَربت،

تحسّستُ قلبي

فَراغْ...

مزيداً من الفَراغْ،

اقتَربت

احتَرقت

ظَلامْ ..

مزيداً من الظَّلام،

أين أجنحتِي

أين بياضُ المَلائكةِ

أين الفِردوسُ

أين "إيرُوس" ؟

صَمت...

مزيداً من الصّمت،

أيّها الإلَهُ

هَبنِي نوماً عميقاً

علَّني أستيقظُ من هذَا الفَراغْ ..

داءُ الوحدَةِ مزّقني

اشتقتُ للأرضِ

أريدُ أن أعُود

أريدُ أن أنزل،

لستُ ميّتاً أو مجنُوناً

لستُ مفقوداً أو ممسُوساً

لستُ كافراً أو زِنديقاً،

أنْا علامةُ استفهَامٍ مُعلَّقةٌ بين الآلهةِ و البَشَر ..

سُؤَالْ

سُؤالٌ

عن الوجُودِ و المَعنَى،

أينَ رحلت السّماءُ ليلةَ البارحة

و أين اختفَى وجهُ اللَّيل

وابتسامةُ الهلالِ الصَّفراء؟

سُؤالٌ

عن الحبّ و الخفقةِ الأولى،

أين ذهبتَ بالقلب أيُّها الحبيب

أين خفقانُ قلبك أيُّها العاشقُ

و لماذا ترك الحبّ على وجهي بعض التّجاعيد؟

سُؤالٌ

عن الألم و الأرَق،

كيف أنامُ بوجه ملوّنٍ بالألم

و عقلٍ مليئ بالذّكريات

هل أهجُر مضجعي بعدما سكنهُ الأرَق؟

سُؤالٌ

عن اللَّيل و التّفاصيل،

لما اللَّيل قاتلٌ هكذَا

لما التّفاصيلُ كثيرةٌ

كأنّها قصصُ الموتَى

أو لوحاتٌ سُرياليّة؟

سُؤالٌ

عن غيابكَ المُتكرّر،

ألاَ تخشى أن أنتهِي دُونك

أيُرهقكَ الحُضُور؟

مَن أنَا ؟

(1)

في آخرِ رشفةٍ من كأسِ الألم

أتساءل؛ مَن علّني أكُون؟

أنا جسدٌ عارٍ

مُلقى في مكانٍ ما

علَى تُراب الوطَن ..

أنَا دمُوعُ كفيفٍ

تتدفّقُ حيثُ لا يَدري ..

أنا سجينٌ

لا يعرفُ غير المَنفى و قسوةِ السجّان ..

أنا قِنديلٌ

يفقدُ نورهُ في صمتٍ عميق ..

أنَا نهرٌ يتدفّقُ

في قلبِ مُراهق ..

أنَا الزّهرةُ الوحيدة

الَّتي نمَت في قلبِ الحجَر ..

أنا آخرُ حرفٍ

في قصيدةِ رثَاء ..

أنا آخرُ قطرة

في نَبيذ الحياة الأبديّة ..

أنا الورقةُ الأولى الَّتي سقطَت

لتُعلنَ تمرُّد الخرِيف ..

في آخر رشفةٍ من كأس الألَم

انتهَى السُّؤالُ بعلامة استفهامٍ بحجمِ السّماء،

أملاً في الحصُول على بعض الإجابَات ..

(2)

أسألنِي من أنَا ؟

حفنةُ ترابٍ جافّةٍ

على صخرةٍ معزُولة،

تأخذُ الرّيحُ من جسدِي

كلّ مساءٍ ذرّة ..

أم ورقةٌ جافّةٌ

سرقها البُؤسُ من شجرة الحياة

واختارت التحلُّل بكلّ رَويّةٍ

على أرضِ اللَّه ..

و رُبَّما أكونُ قطرةً تسلّلت من فمِ عطشان

وانتحرت غارقةً في نهر الحبّ

المُتدفق من أيدي الملائكَة ..

كما قد أكونُ شراعاً

تذهبُ به رياحُ الألم حيث تشَاء

فيتيهُ في عمق العَدم ..

أم أنّني رسولُ الحبّ

الذي يشتكِي طول الدّهر

من ركاكةِ اللُّغة في القَصائد الغزليّة

و انقراضِ القُبلات تحت ضوء القَمَر ..

أسألُني، وأسألُ العالمِين؛ من أنَا ؟

هل أنَا علَّةُ الوجُود

ام نُبوءةُ العدَم ؟

هل أنَا جزءُ القصيدة

أم كُلُّها ؟

هل أنَا النّهر المُتدفّقُ

أم يدُ ملاك ؟

هل أنَا الدَّمعةُ

أم المُقلتان المُتعبتَان ؟

أرهقنِي السُّؤال يا قومُ فأجيبُون!

نَورسٌ بلا وطَن

المساءُ يزدادُ لمعاناً كلُؤلؤةٍ

نشرهَا الكونُ على شاطئ البَحر،

بين سطح الصَّخر النّائمِ

و غيومِ السّماء المُحتشمة

نورسٌ هاربٌ من الزّمن ..

صوتُ الأمواجِ يُخرسُ ما بداخلِي من أصواتٍ إضافيّة،

أمدّدُ قدميّ للفَراغ

و أنتشي بقصيدةٍ مُنتهية الصلاحيّة.

هاربٌ من كلّ ما هو بشريّ؛

من ضجيج الحافلاتِ المُكتظّة

من ازدحامِ المارّة في الشّوارع

من روائح الكآبة

من عيونِ مُرتادي المقَاهِي

من الظّلال ..

أبحثُ عن شيءٍ لا يشبهُ شيئاً،

عن وطنٍ لا يضمُّ إلاّ الغُرباء،

عن سبيلٍ وسطَ الحضارةِ؛

كي أكونَ بدائيًّا ..

إنّهُ أنا فوق صخرةٍ صغيرة

نورسٌ يشربُ القَهوة و يسمعُ لموسيقى البَحر،

أرغبُ في الطّيرانِ عالياً

حيثُ يمكنني مشاهدةُ البحرِ يبتلعُ الشّمس برَويّة.

رفعتُ عينايَ نحو الأفق البعيد

لاشيء غير الخَواءِ و الإحساس بالتَّعب،

أحاولُ إغراق بعضِ الذّكريات في زرقةِ المياه

لكن دُون جدوَى ..

تزدادُ الشّمس احمراراً

وهي تُلملمُ خيوطها الذهبيّة وتأخذُها بعيداً،

هممتُ بالرّحيل كي لا أُدركَ الظّلام

لكنّه أدركني في الطّريق

وقد نسيتُ نفسي فوقَ صخرةٍ سوداء.

سأعُود غداً

أو بعد غدٍ،

فلستُ مُرهقاً بالتّيهِ فقط

فلاَ شاطئَ لي ولا وطَن ..

روحٌ صغيرةٌ

إنّه اللّيلُ يحُلُّ مجدّداً على قلبِي

نُقطةٌ سوداءٌ تتوسّطُ الرُّوح البَريئة

كلّ شيء يتدفّقُ داخلهَا

الألم، الشّوق، الحسرة، التّعب...

تندفعُ نحو الحبّ منهكةً

تلتفتُ يُمنةً و يُسرة

تبحثُ عن هدفٍ

عن معنَى

عن كونٍ تسكُنه ..

تقتربُ منّي رويداً رويداً

ببرودٍ أبتسمُ و أبكِي

لا أعلمُ ما الذي عليّ فعلهُ

تُجاه روحي ..

إنّها أشبهُ بشيءٍ أعرفهُ

حبٌّ يتدفّقُ من يدَي إله

أو كلمةٌ مقدّسةٌ

أو ربّما تعويذةٌ تجعلُني بارداً كقطعة ثلجٍ في محيطِ البُؤس ..

من أنتِ أيّتها الرُّوح الشفّافة؟

من أين لكِ بهذا البريقِ المُذهل؟

لازالت مذكّرة الأغاني الخاصّةُ بك عندي
أحتفظُ بها داخلَ قلبِي
كنوعٍ من المُقدّسات
المكتُوبةِ بخطّك المُتعجرف
المُشرّد بين السُّطور ..

أقلعتُ عن تدخينِ الحيَاة
و كانت آخرُ سجارةٍ في الثّالت عشر من مَارس
أتتذكّرين؟
كنتُ صامتاً بينما تتحدّثين
كنتُ مُستمعاً جيّداً بينما كنتِ مُتحمّسةً ..

لازلتُ أجملُ ماهيتكِ أيّتها الرُّوح الصّغيرة
الصَّغيرةُ بما يكفي لتجعليني أعبُدكِ
وأمثُل أمامكِ كعبدٍ ضعِيف
أقدّمُ قلبي الكبِير كأُضحيةٍ يوميّة
فكلُّ الأيّامِ معكِ عيدٌ
أيّتها الرُّوحُ المُبلّلةُ بالأمَل ..

على وجهِ المَاءْ

على وجهِ المَاء

كتب النبيُّ آخر وصاياهُ للأمّة؛

لا تكُونوا أتبَاعي

لا تُقدّسوني

كُونوا أتباعَ السّلامِ

قدِّسُوا الحبّ ..

هبّ ريحُ المسَاء

يعزفُ الرّاعي على النّاي سمفُونية الرَّحيل

و أهلُ القريةِ يودِّعونَ نبيَّهُم،

اختَار الرَّحيل

بدلَ أن يمُوت بينَ أهلهِ، في بيتهِ ..

تبعثَرتِ الألوانُ في السَّماء

وارتفعَت الصَّلواتُ إلى الإله،

يزدادُ الجوُّ احمراراً

يرفعُ يده بينَ الأيَادي

مُصلّياً

مُودِّعاً ..

عندمَا يخلطُ النّسيانُ الأورَاق

(1)

أتساءلُ دوماً

هل النّسيانُ مثقّفٌ

أم أنَّهُ مجرّدُ ثائرٍ جاهلٍ

هدفهُ الوحيدُ اسقاطُ الذَّاكرة ؟

(2)

كانَت كلُّ محاولاتِي

لنسيَانكَ أيُّها الظلُّ

تبوءُ بالفَشَل ..

(3)

كُلَّما وقفتُ عندَ البقّالِ

تذكّرتُك

ونسيتُ لماذا أنا هُنا ..

(4)

لماذا اللَّيلُ طويل؟

هل لأنّني أرسمُ بعض اللَّوحاتِ في عقلي

وأنا مُمدّدٌ في السّرير؟

(5)

تصمتُ كلُّ التّفاصيل

عندمَا يخلطُ النّسيانُ الأوراق ..

(6)

في باحةِ المقهَى

أنا و كأسُ القَهوةِ

ثالثُنا النِّسيان ..

(7)

دمُوع اللَّيلِ

هل هيَ للذّكرى أم للنّسيان؟

(8)

في القَصائدِ الرُّومانسية

تطغى الذّاكرة

و ينذثرُ النّسيانُ ..

(9)

أن تنسَى بعض الذّكريَات

أهونُ من تذكُّرها في مُنتصفِ الشَّارع ..

(10)

في آخرِ القصيدةِ

أعتذرُ عن نِسياني

و تِكراري للآحاديثِ المُملَّة ..

زُجاجةُ حظٍّ فارغَة

(1)

مساحاتٌ خضراء،

قلُوبٌ تنتظرُ في محطّةِ الحيَاة ..

(2)

ليلٌ بهِيم،

الشّمسُ في آخرِ المحطّة ..

(3)

أصواتٌ خافتَة،

دعواتٌ تتسلّلُ من القُلوبِ إلى اللّه ..

(4)

السّماءُ كئيبةٌ،

اللّيلةُ ذكرى موتِ ملاَك ..

(5)

تجاعيدٌ على وجهِ غجريّةٍ،

شكّلَت تفاصِيلَ الزَّمَن ..

(6)

بينَ الكلمَاتِ الكثيرَة،

لازالَ المجنُونُ يبحثُ عن لَيلَى ..

(7)

مُوسيقَى بطَعمِ الأنِين،

نايٌ يبكِي بصخَب ..

(8)

قلبٌ مُغلَق،

أينَ نسيتِ المفاتيحَ يا حبيبَتي؟

(9)

عندَ بابِ الحانةِ أعربدُ،

أينَ النّبيذُ الذي يُخرسُ العالَم؟

(10)

عشرةُ كؤُوسٍ،

زجَاجةُ حظٍّ فارغَة ..

عصفُورٌ أصابهُ المَلل

في غُرفتي قفصٌ صغير،

يستَوطنُه

عُصفورٌ أصابهُ المَلل ..

ملَّ من مُراقبةِ الأجواءِ

والإستماعِ إلى المُوسيقى الكلاسيكيّة ..

في القَفصِ

عصفُورٌ يشعُر بالنَّدامةِ،

على طمعهِ في حبَّةِ قمحٍ

سلبَتهُ حُريَّةَ السَّماء ..

في القَفصِ

عُصفورٌ و حبَّةُ قمحٍ

و دمُوعٌ تبحثُ عنِ الحُريّة ..

إلى أجلٍ غيرِ مُسمّى

باسمِ الوجُودِ،

أحتاجُ التحدّث عنك أيُّها العالَم ..

باسمِ الحُبّ،

أحتاجُ مغازلتكِ أيّتُها الجميلَة ..

باسمِ الصّباحِ الماطِر،

أحتاجُ شربَ قهوةٍ في الفِراش ..

باسمِ الوطنيَّة،

أحتاجُ تعليقَ العلمِ على قصَائدِي ..

باسمِ الحيَاة،

سأقبِّلُ السّماء وهي غائمَة ..

باسمِ الموتِ،

سأموتُ اللَّيلة و أحيَا للأبَد ..

باسمِ اللَّيلِ،

لن أنامَ اللَّيلةَ ..

باسمِ عيناكِ،

سأتفاوضُ من أجلِ حياةٍ ثانيَة ..

باسمِ الموسيقَى،

سأدَندنُ في أذنِ العَالم ..

باسمِ الجَمَال،

سأزرَعُ وردةً في قلبِي ..

باسمِ كلِّ شيءٍ،

سنُعلّقُ كتابةَ القصائدِ

إلى أجلٍ غيرِ مُسمَّى ..

أيّتها اليدُ الحنُونة

على أنغامِ المُوسيقى

أغازلُ الصّمت

ببعضِ الكلمَاتِ المُبهمة

و التَّفاصيلِ الكثيرَة ..

أنصِتُ بتركيزٍ شدِيد

لمعزُوفةٍ من "الجّاز" الأمريكيّ

و أضربُ بمطرقَةِ "نيتشه" على رأسِ الوجُود ..

أتذثّرُ بلحافٍ شفَّافٍ

في ليلةٍ ظلمَاء،

أختلسُ النّظر إلى القمَر

و أدعُوك إلى الطّاولة

فهُنا بعضُ النّبيذ،

و في اللَّيلةِ الظّلماءِ يحلو السّمر ..

أقرأُ على زهرتِي الصّغيرة

قليلاً من فلسفة الحبّ،

و أنفثُ عليها دخّانَ سيجارةٍ مُنتهيةِ الصّلاحية

وأسألها أين ذهبَت حبّاتُ النّدى

التي كانَت تزيّنُ خدّها الورديّ ..

أحسُّ بيدٍ دافئةٍ

على قَلبي المُرهف

تدعُوني لجلسَةٍ طويلةٍ تحتَ القمَر

و عناقٍ أبديٍّ لا ينتهِي ..

أيّتها اليدُ الحنُونة؛

فلننسلِخ من قبضةِ الزّمَن

و لنجعَل هذه القَصيدة طويلةً

كقُبلةِ فلاَّحٍ بعد الفجر ..

فلنُعلنِ التمرُّد على الواقعِ

ولنقتلِ الوجُود،

لنهرُب من العدَالة

إلى مكانٍ بعيدٍ،

إلى ما ورَاءَ الشّمس

خلفَ "المُوناليزَا" ..

فلنستَرق قُبلةً سريعةً كانزلاقِ قطرةِ مطر،

و نرسم أرضاً جديدةً

ليس فيهَا بشَر ..

أيّتهَا اليدُ الحنُونة

اليومَ لا مفَرّ

من عدالَةِ الزّمن،

أحسُّ بحُطامٍ يتراكمُ داخلِي

كأنّهُ تنهيدةٌ بعيدة

تُخرّبُ تفاصيلي المثاليّة ..

كفَى مُوسيقى

كفَى لعباً أيُّها القلمُ الشقيّ،

سنعودُ إلى بيتنَا

قبل أن يتعرّى اللَّيلُ

فيُصيبنا بللُ التّيهِ

بطشُ القدَر ..

وطَنانِ لقلبٍ واحِد

1 – الزحيليكة

في مقهَى القريَةِ كلُّ شيءٍ غريب

كوبُ المَاءِ

ثنائيّةُ الحلِيبِ والقَهوة

المزهريّةُ على جانِبِي الأيمَن

النّادلةُ السّمينة

عيُونُ الفلاّحين

الماءُ هنا ليسَ عاديًّا

فهُو بطعمِ الهُدوء

والقهوةُ حلوةٌ بشكلٍ مُثير

حتّى الحزنُ ليسَ عاديًّا

فهو يبدُو استثنائيًّا

هارباً من السّعادةِ .. إليهَا

أحملقُ في عِربيدٍ يُجاورنِي

كيفَ يُشعلُ السّجائر تِباعاً

كيفَ يُطفئُ البُؤس مِراراً

بلاَ جدوَى

بلاَ أمَل

لكِن باصرَار

علَى أنغامِ "أحيدُوس"

كلُّ شيءٍ يتمايلُ هنَا

حتّى النعناعُ في الشّايِ

يحتَفي راقصاً بحلاوةِ الرّيح

النّهارُ هنا لا ينتَهي

والشّمسُ لا تريدُ مُفارقةَ هذا التُّراب العطشَان

إذا وصلَ اللّيلُ برزَت النُّجومُ كاللُّؤلُؤ المنثُور

مُتظاهرةً

تحملُ شعارَ الأمَل

الولادةُ من عُمقِ الدُّجى

هذهِ القريةُ تحملُ كُلّ شيءٍ

عدَا الحُزن

كُل مرَّةٍ آتيهَا حزيناً .. تحضُنني

كطفلٍ جائعٍ يهتدِي لثَديِ أمِّه

2 – سلا

في شوارعهَا

أمشي هائماً على وجهِي

حُزني و تعَبي

هذهِ المدينةُ الصّاخبَة

تزيدُ من قَلقي

من زُقاقٍ إلى زُقاق

أجُرُّ رجلاَي

هارباً

منّي

إلى الفَراغ

من مقهَى إلى مَقهَى

كتبتُ مائةَ قصيدةٍ

كُلُّهنَّ حزينَات

اغتَصبهُنَّ الضّيَاع

هذهِ المدينةُ

تضيقُ كلّ يومٍ

و تكتظُّ بالوجُوهِ كلّ مسَاء

وجُوهٌ صارخَةٌ

تحملُ تعابِير الهزَائم

أنَا و "سلا"

وجَهَانِ

لألمٍ واحِد

هُنا أحبَبتُ

كرِهتُ

تمرّدتُ

بكيتُ .. ولم أضحَك

هُنا تعلّمتُ أن أكونَ

هادئاً بصخَب

شاعراً بحبّ

النّهارُ هُنا كاللّيل

كلاهُما قصيرَانِ

و قَاتلاَن

هذهِ المدينةُ مُؤلمةٌ

لكنّها مُغريَة

ففِيها من التمرُّد و التّاريخِ

ما يستهوِي دفقَتي الشُّعوريّة

ليلٌ يجلسُ القُرفساء

علَى عتباتِ قلبي

ليلٌ يجلسُ القُرفساء

و دموعٌ مُتمرّدةٌ تطالبُ بالإستقلالِ

عن عيناي السّعيدتان،

في جيبِ معطفي الأسودِ درهَمان،

فُتاتُ خبزٍ و غيومٌ مُبلّلة،

في يَدي

صحيفةٌ و قلمُ حبر

أملأُ خانةَ الكلماتِ المُتقاطعَة،

في عقلي اللاّواعي

قصائدُ "درويش"

و لعناتُ "سيوران" ..

أنثرُ بعض التّفاصيلِ الصّغيرةِ

على اللّيلِ الطّويل

أبحثُ عن سعادةٍ أبديّة،

أسافرُ بالزّمنِ عبر سِجلاّتِ الذّاكرة

أُفنِّدُ بعض الأحداثِ

و أضعُ النُّقط على حروفِ القصصِ القصيرةِ ..

داخلَ عقلِي

عصافيرٌ لا تكفُّ عنِ الصُّراخ

و ضجيجُ الرّاديُو،

في غُرفتِي الصّغيرةِ

سماءٌ ماطرةٌ طول الوقتِ،

علمُ الوطنِ المُبلّلُ

و بقايَا الحرب العالميّة المئة ..

أبحثُ عن قلبٍ يحتضنُ قصائدي

عن دمٍ ألطّخُ بهِ جُدراني

عن حبٍّ أكتبُ عنهُ برُومنسيّة ..

أبحثُ عن ليلٍ قصير

عن ظلامٍ غير دامسٍ

و عن حكايَا جدّتِي ..

أبحثُ عن ألمٍ يجعلنِي أبكي

للمرّةِ الأخيرة،

و عن سماءٍ أصعدُ لها بدمُوعي طائراً ..

لازلتُ أبحثُ

و أبحثُ

و أبحثُ

أتعثّرُ فأسقُط

سقُوطَ ورقةٍ ماتَت في هُدوء

تركتهَا الشّجرةُ في هُدوء

احتضنتهَا الأرضُ في هُدوء ..

لازلتُ أبحثُ

وعلَى رأسِي حجرانِ؛ العشقُ والألَم ..

أنصافٌ ضَائعَة

في مُنتصفِ الطّريق
وقفَت أحلامِي
تبحثُ عن بصِيصِ أملٍ،
بحثُ عن نجمةٍ تُرشدُها للطّريق.

في مُنتصفِ الحُلُم
بُعتثُ من الموتِ هلعاً
لحياةٍ اختفَت منها الألوانُ،
لحياةٍ فقدَت طعمهَا
لحياةٍ فقدتِ الحيَاة.

في مُنتصفِ الحياةِ
أعلنتُ استقالتِي
و مزّقتُ أوراقَ الوجُود،
من اليومِ لستُ موجوداً
ومن الأمسِ لم أَكُن
وفي القصيدةِ التّالية لن أَكُون.

في مُتصفِ الوجُود

عدميَّةٌ قاحلَة مُتلؤلؤةٌ كجوهرةٍ

هي الحقيقةُ الوحيدةُ التي أعرفُها

في هذَا العالمِ.

في مُنتصفِ العالمِ

أعلنتُ نفسي شاعراً

أنسجُ القصائدَ في سبيلِ الأنصافِ الضّائعَة.

بَرِيد

بَريد

يصلُ في أواخرِ ديسَمبر،

يحملُ التّفاصيلَ الكثيرةَ

و الدُّموعَ الغزيرَة.

بَريد

يصلُ في مُنتصفِ اللّيل،

حينَ يغفُو فُؤادي

و تتوافدُ الأفكارُ الخَبِيثَة.

بَريد

أستَقبلهُ في فرحٍ حزِين،

تصفعُني الذّكرى الّتي تفوحُ من طيّاتهِ

فاستفقتُ من شُرودِي

وتألّمت.

إنكِسارَات

بعشوائيّةٍ

أُحاولُ لملمةَ انكسَاراتي

أجمعُها

أضُمُّها لصُدري برفقٍ

علِّي بذلكَ أحقّقُ بعض الإنتصارَاتِ

على مخَاوفِي ..

ضربٌ من العبثِ هذا الذي يحصلُ معي

تحيطُ بي غيمةُ حزنٍ رماديّةٌ

لا رذَاذ

لا مطَر

كأسطُورةٍ منسيّة

كبطلٍ خارقٍ لم يحتفي به شعبُه

كأغنيّةٍ شعبيّة ملَّ الجميعُ سماعهَا ..

أقفُ على أبوابِ الجنانِ مطروداً

وفي صدرِي ذنبُ آدمَ و ثُقّاحتُه،

أجمعُ حُزني

و أذرفُ الدُّموع على يدايَ الباردتَان،

لا انكسَاراتي جمعتُها

ولا الجنّةُ فتحَت بابهَا لصدرِي المُختنِق.

تراجيديا الأرَق

(1)

يُسدلُ اللّيلُ أستارهُ

و يغشَاني الظّلام،

مللتُ معاكسةَ القصائدِ

و مُباغتةِ الكلماتِ بحروفٍ غير مشكُولةٍ

و مُبعثرةٍ في كلّ مكان،

هل أعتَزل كلّ هذا

أم أنتظرُ الصّباح ..

أكرهُ الإنتظار وسطَ الظّلام

لكنني أحبّ أن أكون مُؤرقاً،

كلّ ليلةٍ

في نفسِ المكانِ و الزّمان

النّاسُ نيام

و أنا في وحشةِ اللّيلِ أحاربُ أفكارِي.

(2)

تَراجيديَا الأرَق

تُصوّرُ بؤسِي على ورقةٍ عذرَاء،

تلوّنها بألوَانٍ ناصعَة

تُشعرنِي بالغثيَان ..

أتراجعُ للورَاء في صمتٍ

و أكتفي بمُراقبةِ أفكاري

و هي تقتُلني ببُطئ،

ليست جريئةً بقدرِ ما هي مُجرمة!

كل ذلك البُؤس لا يعني شيئاً

فهو يتحوّلُ إلى ألمٍ يعتصرُ قلبِي

كُلّما اشتهيتُ أن أنَام ..

هل اللّيل حقًّا خُلق للرّاحة

أم ليكُون سفّاحاً لطيفاً

يبتسمُ بخُبث؟

(3)

لُطفاً سيّدي الأرَق

لا أريدُ إزعاجَك

لكنّك بوسامتكَ سيّءُ المظهَر،

رُبّما يحبُّك الفلاسفةُ والشُّعراء

لكنّني أكرهُك .. أكرهُك

لأنّك تصنعُ منّي شاعراً غبيًّا ..

عزيزِي الأرَق،

كفاكَ عبثاً

كفاكَ تسلُّطاً ..

عزيزِي الشّاعر الغبيّ،

كفاكَ بكاءً و ضُعفاً

كفاكَ بُؤساً ..

إيّاك و التوقّف عن التمرُّد

فاللَّيلُ لا يزالُ طويلاً.

(4)

إنّها اللّيالي

تُغرقُني في بحرٍ من التصوُّرات

تجدبُني للسّهر كثيراً

و قتلِ عشراتِ السّجائر،

هبُّ في رأسِي الويلاتُ كالرِّياح الشرقيّة ..

إنّها الليالِي

ليسَت بالجميلة ولا المُثيرة،

مُملّة، رتيبةً و كئيبَة ..

ما الذي نحبّه فيها

وما هيَ إلاّ ساعاتٌ من البُؤس والضّجر؟

إنّها الليالِي

لن تُريكَ غير الويلات،

ستجعلُ منكَ حُطاماً

و رماداً لا مَوقِد لَه!

(5)

ما بي لا أعلمُ شيئاً

لا أستَجيب،

أفرُكُ عينَايَ كي أستَفيق

أم أحاولُ نصبَ مشنقةٍ لنهَايتي،

سأنتحرُ هذا الصباح

لأن ليلِي يحكُمهُ الأرَق،

هذا اللّعين

هل هو لعنتِي؟

هل هو قدَري؟

رُحماكَ إذاً أيُّها القَدَر

فما عادَ لي من الصّبرِ شيء ..

حتّى الموتُ يرفُضني

فأغرقُ في بركةٍ من الأفكارِ الضّحلَة

لا حولَ ولا قُوّة لي

فرُحماكَ يا قَدَرُ

إنّ الأرقَ قتلَني.

(6)

ما عُدتُ أستطيع

ولو استَطعتُ

فلن أكونَ بعد الآنِ هنَا ..

ربّما أنا وليدُ الفَراغ

و رُبّما الفراغُ وليدُ التّعب،

رُبّما لن أستطيعَ أبداً

و رُبّما تنتهي كلّ الإحتمالاَت

ما الذي يجدُرُ بي فعلُه

ما الذي سأفعلُه؟

هل أسلّمُ نفسي للفَراغ؟

تكثُرُ الإحتمالاتُ كلّما ازددتُ غرقاً في أفكَاري.

رسائلٌ في محفظَةِ شَاعِر

إلى الله :

لستُ مؤمناً صالحاً

لكنّني صادقٌ فيمَا قُلتهُ

ليلةَ البَارحَة

إلى الشِّعر :

لا أعلمُ حقيقةً من منّا وجدَ الآخر

لكنّني أعلمُ أنّك لن تتخلّى عنّي

في مُنتصفِ أوجاعِي

إلى الوطَن :

سأُحبُّك بكلّ ما أوتيتُ من وطنيّة

وأتمنّى

أن تمنحنِي فُرصةً لأكونَ حرًّا

إلى أصدقائي :

حبّي لكُم أبديٌّ

و ولائِي لصدَاقتكُم

لن يغتَالهُ الزّمن

إلى أمّي :

مهمَا كتبتُ لكِ من القصائد

ستظلّين أنتِ الشّعرُ

و المُوسيقَى و الحيَاة

إلى رشيد سبابو :

أيّها الشّاعرُ البدويّ

كُن شامخاً كالنّخلةِ

قاسياً كشمسِ أغُسطُس

في باحَةِ المقهَى

(1)

تتأرجحُ الكلماتُ في رأسِي

ككُرةٍ في مُنتصف الشّارع

و أنا كالطّفل الصغيرِ أجري

تائهاً

خائفاً

خائفاً من ماذا ؟

ربّما من شُرودي المُتواصل

أو من مرور الوقت بسُرعة

فسيفُ الزّمن كما يقولُون

يأتي على أخضَر العُمر و يابسِه

(2)

أزاحَ النّادلُ المظلّة الكبيرَة

السّماءُ البعيدة غائمةٌ و مظلمة

كأنها تُحاول بطريقةٍ ما

التعبيرَ عن بُؤس هذا الوجُود

(3)

على يميني بعضُ النّباتات المُتمايلة

منظرهَا يزيحُ بؤسي جانباً

لكن لا يُنهيه،

أنظُر إليها بنظراتٍ خاطفةٍ كل مرّة

كأنّها أوّل مرّة

عسَايَ أجد فيها قصيدةً ما

أو إشارة

او رسالةَ حبٍّ منكِ

(4)

في باحَةِ المقهَى

من على كرسيٍّ غير مُريحٍ

أتأمّلُ المارّة في الشّارع

كيف يسارعون الخُطى

و يُسابقون الدّقائق و الثّواني

لبلوغِ أغراضٍ تافهةٍ

لأكتُب قصيدةً تافهةً كهذه

(5)

هنا في باحةِ هذه المقهَى

تعلّمتُ الحبّ و أنا أسمعُ للمُوسيقى

حيثُ الكلُّ منشغلٌ بشيءٍ ما

ربّما مباراةُ كرة قدمٍ يخيفةٍ

أو معاكسةُ الفتياتِ اللاَّتي يمرُرنَ

بينَ الفينةِ و الفينَة.

في نفسِ المكَانِ المعهُود

في نفسِ المكَانِ المعهُود

انتظَرتكِ طويلاً

ولستُ أريدُ لُقياكِ

ولم تأتِ كالعادَة ..

في نفسِ المكانِ المعهُود

ألتقطُ الزّمن من المساء كالعصَى

عساكِ تمُرّين صُدفةً

عساكِ تحِنّينَ على حبيسِ عيناكِ

وتُلقي نظرةً إليهِ -ولو بتكبُّر-

لكنّك لم تمرّين كالعادةِ ..

في نفسِ المكانِ المعهُود حيثُ اعترفتُ لكِ فيهِ

ألتفتُ يُمنةً و يُسرةً

في توتُّرٍ،

تمُرّينَ بقسوةٍ و دونَ مُبالاةٍ

دُون الإلتفاتِ لقلبِي

أو إلقاءِ نظرةٍ مُتكبّرة.

شظَايا قلبٍ مكسُور

في غُرفةٍ شبهِ مُظلمَة

أتأمّلُ شظايا مرآتِي المكسُورة

ألتقطُها في محاولةٍ

للبحثِ عن أحدِهم،

أرانِي في إحدى الشظَايا

بعيداً

مُتذمِّراً

وعلى خدّي دمعتَان

وقلبٍ مكسُور ..

أسألنِي : من أنت ؟

مياهٌ جارفةٌ

ألتفتُ

ذاتَ اليمينِ

و ذاتَ الشّمال

و إلى داخِلي ..

أفتقدُ إلى مياهٍ تجرفُني بعيداً

أنَا و جُروحِي ..

بعيداً،

حيثُ لا يبقَى منّي شيءٌ

غيرَ قصيدَة ..

أعتزلُ الغَزَل

أنا الذي أغرقتُ الدُّنيا

بقصائدِي،

أقُولُ للشّعرِ كُن

فيكُونْ ..

لم أتوفّق و دفقتِي الشُّعوريّة

في كتابةِ بيتٍ واحدٍ

يصفُ شفتَاها ..

مَرفُوض

مرفُوضٌ دوماً

خاضعٌ طوعاً

على عُنقي أغلالُ الحبّ

وأقفالُ الألم،

مطرودٌ كآدَم

من جنانِ العشقِ

منفيٌّ لأرضِ الأسَى

لكِن لا حوّاءَ رضيَت بقلبِي ..

مرفُوضٌ، مطرُود

ما فُزتُ في دينِ الحبّ بركُوعٍ أو سجُود،

كمُؤمنٍ مُلءَ ذنوباً

فهُو بينَ لهيبِ النّار و نعيمِ الفِردوس ..

ماذا بعدَ الرّفضِ أيُّها الشّاعر العَليل

هل تدفنُ فُؤادكَ في التُّرابِ

أم تَنظمُ قصيدةَ رثَاء،

أم أنّك تُسلّمُ روحكَ لريحِ الكآبةِ و الدّياجِي ..

وا حسرتَاه يا شَاعري

ما الرّفضُ إلاّ بداياتُ الولَه ..

إستِراق

من نافذةِ قصيدتِي

أسترقُ خلسةً بعض النَّظرات

لهذا العالمِ الجاثِي على رُكنِ الكون،

نظرةٌ للمُشاةِ في الشّوارعِ

ونظرتَينِ للحسنَاءِ وهيَ تمشطُ شعرهَا الأشقَر،

أبحثُ عن أحدِ الضّائعينَ هُنا

أحدٌ يُشبهُني،

يحملُ ألمي وانكسَاراتِي

يكتبُ جُلَّ اللّيلِ مثلِي ..

لكِن لا أريدهُ أن يكُونَ أنا.

صَوتُكِ

في البَدء لم يكُن شيءٌ

وكانَ صوتُكِ

إلهاً على مُوسيقى الخلُود،

صوتُكِ قصيدةٌ

تبدأُ بحبٍّ و تنتهي بحبّ ..

ظننتُ وأنا صغيرٌ

أنّني لن أستطيع سماع صوتِ الآلهة

ومُوسيقاها المجيدَة ..

امنحيني الخلُود يا سيّدتي

اشفِيني بألحانكِ كيما أكُونُ عليلاً ..

الفهرس

الإهداء 4

غُرابٌ يُواري سوءةَ اللّيل 6

فَراغْ .. مزيداً منَ الفَراغ 7

سُؤَالْ 10

مَن أنَا ؟ 12

نَورسٌ بلا وطَن 15

روحٌ صغيرةٌ 17

على وجهِ المَاءْ 19

عندمَا يخلطُ النّسيانُ الأورَاق 20

زُجاجةُ حظٍّ فارغَة 23

عصفُورٌ أصابهُ المَلَل 26

إلى أجلٍ غيرِ مُسمّى 27

أيّتهَا اليدُ الحنُونَة 29

وطَنانِ لقلبٍ واحِد 32

ليلٌ يجلسُ القُرفساء 37

أنصافٌ ضَائعَة 40

بَرِيد 42

إنكِسارَات 43

تَراجيديَا الأرَق 45

رسائلٌ في محفظَةِ شَاعِر 50

في باحَةِ المقهَى 52

في نفسِ المكَانِ المعهُود..... 55
شظَايا قلبٍ مكسُور 56
مياهٌ جارفةٌ..... 57
أعتزِلُ الغَزَل..... 58
مَرفُوض..... 59
إستِراق 60
صَوتُكِ..... 61